خطبة: القناعة هي الغنى

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

الحمد لله الكريم المنان، واسع الكرم والإحسان، أسبغ علينا الكثير من النعم، وجاد علينا بعظيم المنن، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله، خير زاد ليوم المعاد " وتزوّدوا فإنّ خير الزادّ التقّوى واتّقون ياأولي الألباب "

معاشر المؤمنين

لقد خلق الله تعالى بني آدم وأكرمهم ورزقهم، فمنهم الراضي القانع، ومنهم الجشعُ الطامع، قال تعالى " فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمن\* وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن "

والموفق من رضيَ بقسمةِ الله تعالى وعطائه، ولم يتذمّر أو يتسّخط ،

عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: تَعِسَ عبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالقَطيفَةِ وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ رواه البخاري.

والقناعةُ عباد الله هي الرضا بالموجود، وتركُ الحزن على المفقود. ولها ثمراتٌ عظيمة في حياة الإنسان، فهي عزةٌ في النفس لا تُشترى، وسعادةٌ لا تنقطع، ومالٌ لا ينفد، وحياةٌ هانئةٌ آمنة، قال الله تبارك وتعالى " من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحييّنه حياةً طيبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون "

قال علي بن أبي طالب وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهم: الحياة الطيبة هي القناعة.

القناعة عباد الله : هي الرضا بما أعطاه الله، وكتبه وقسمه.

وهي استغناءٌ بالموجود، وتركُ التشوفِ للمفقود.

هي امتلاءُ القلب بالرضا، والبعد عن التسخّط والشكوى.

هي استغناءٌ بالحلال الطيب عن الحرام الخبيث ، فمن ظن أن الغنى والزرق والتنمية في إباحة المحرمات فقد أساء وظلم .

من رُزق القناعة -عباد الله- فقد فاز وأفلح،، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« قد أفلح من أسلم، ورزق كفافا، وقنعه الله بما آتاه».(رواه مسلم )

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قنوعا بما آتاه الله عز وجل ، يطلب الآخرة ويرجو رحمة ربه، ويدعوه قائلا:« اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا».

وكان صلى الله عليه وسلم يربّي أصحابه على القناعةِ ، بما يجنبّهم شدّة التطلعِ للدنيا ، فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال يا حكيم: إن هذا المال( خـُضرةُ )حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع،

اليد العليا خير من اليد السفلى. فقلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا.

وقد تلقى أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التوجيه بصدقٍ ويقين، فكان سوطُ أحدِهِم يسقط من يده وهو على دابته فلا يسأل أحداً أن يناوله بل ينزل ويأخذه بنفسه ،

وكانوا يربّون أولادهم على القناعة وعدم التطلع إلى ما في أيدي الناس،

فهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول لابنه: يا بني إنك لن تلقى أحدا هو أنصح لك مني ... إياك والطمع، فإنه فقر حاضر، وعليك باليأس ( أي القناعة ) فإنه الغنى..

معاشر المؤمنين

لقد أرشدنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كيف نحقق القناعة والرضا،

وأساس ذلك أن يوقنَ المرءُ بأن الرزقَ والنعم من الله جلّ وعلا ، قال سبحانه وتعالى "وما بكم من نعمة فمن الله" ، وأن يوقن بأن الرزق مكتوبٌ ومقدر ٌ لكل من دبّ على الأرض "۞ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (6)

وعلى المسلم أن يتأمل نعم الله عليه ليشكره سبحانه عليها ، ولا يقارن نفسه مع غيره في حظوظ الدنيا ، ولينظر إلى من هو أقلَّ منه ، كما أوصانا صلى الله عليه وسلم بقوله :« انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم».(متفق عليه)

ومما يربّي القناعة لدى المسلم تربيةُ النفس على الاقتصاد في الإنفاق، وعدم الإسراف والتبذير ،قال عز وجل في صفات عباد الرحمان: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾.

ومما يربّي القناعةَ الاعتقادُ بأن الله سبحانه جعل التفاوت في الأرزاق بين الناس لحكمة يعلمها إبتلاءاً وإختبارا ، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ [الأنعام:

وليعلم المرءُ أن النفسَ البشريةَ ميالةٌ للزيادة، ومُحبةٌ للاستكثار، كما أنها إذا رُبيت على القناعةِ قنعت

والنفسُ راغبةٌ إذا رغبتها ... وإذا تُرَدُ إلى قليلٍ تقنعُ

ومن رُزق القناعةَ أبصر نعم الله عليه فشكرها، ومن لم يقنع جحد ولم يشكر

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم ، وبسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم .

أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

لاتعني القناعةُ أن يقصدَ المسلمُ الفقرَ والضعف ، فالفقر ليس من المقاصد الشرعية ولا الضعف من غايات الدين ، فقد إستعاذ صلى الله عليه وسلم من الفقر والعجز والكسل، في أدعيته وأذكاره

كما لاتعني القناعةُ ألاّ يكون المرء طموحا وذو همةٍ وتطلعٍ لمعالي الأمور ، فقد إمتدح ربّنا جلّ وعلا عباده بقوله " الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (18)"

وكم من صاحب مالٍ وفير، وخيرٍ عظيم، رُزق القناعة ، فلم يغشّ في تجارته، ولم يمنَع لأحدٍ حقّه، ولم يذلّ نفسه من أجل مالٍ أو جاه، ولم يمنع زكاةَ مالهِ؛ إن ربح إستبشر وشكر، وإن خسر رضي وصبر ؛ فهذا هو القنوع الشاكر وإن ملَك مالَ قارون.

والاسلام ، عباد الله ،يشجّع على إكتساب القوة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجِز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدَر الله وما شاء فعل؛ فإن "لو" تفتح عمل الشيطان))؛ رواه مسلم[1].